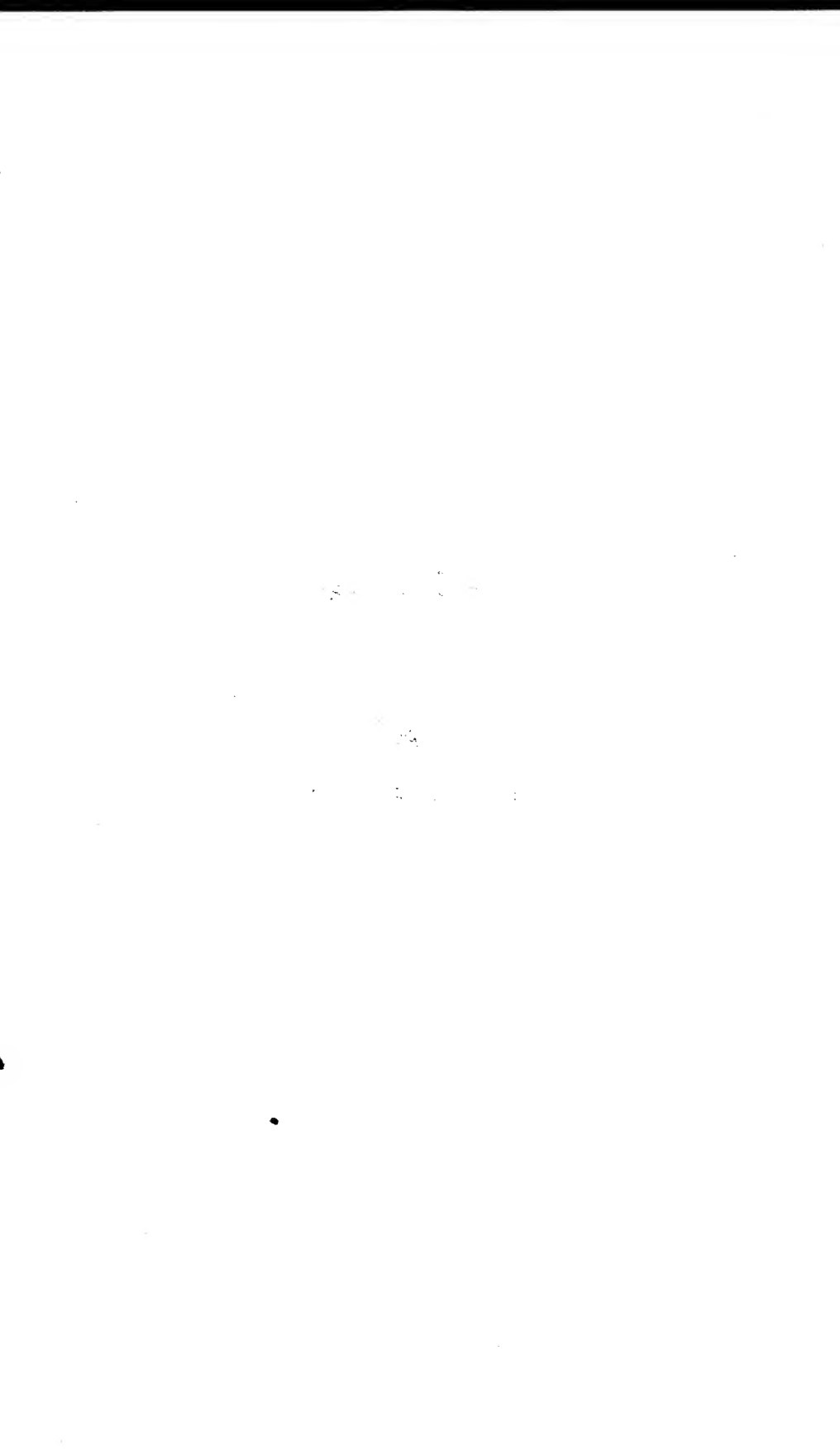


جاستون قيت

وأعماله العلمية

بقلم

الدكتور أحمد دراج



عاش في مصر ثمانية وعشرين عاماً ، قضى منها ثلاث سنوات ، من ١٩٠٩ حتى ١٩١١ ، باحثاً بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، وكان ذلك عقب تخرجه من مدرسة اللغات الشرقية بباريس . ثم عاد ليعيش في مصر مدة ربع قرن من الزمان تبدأ من سنة ١٩٣٩ عندما عين مديراً لدار الآثار العربية (متحف الفن الإسلامي) ، وتنتهى بإنتهاء مدة خدمته بالحكومة المصرية في سنة ١٩٥١ .

وطوال حياته العلمية الطويلة التي تمتد من سنة ١٩٠٩ حتى وفاته في ٢٠ أبريل ١٩٧١ كان تاريخ مصر وحضارة مصر من المفاتيح التي فتحها للعصر الحديث هو المحور الرئيسي لدراساته وأبحاثه ، وذلك دون أن يتعدى عن الميدان العام لتخصصه ، وهو التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بصفة عامة .

وقد بلغت هذه الدراسات والأبحاث من التنوع والكمية العديدة ما يفوق تصور الباحثين . فقد ترك عشرات من الكتب التي تغطي معظم مجالات الدراسات التاريخية والحضارية . ومن هذه المجالات : التأليف ، ونشر النصوص العربية القديمة ، والترجمة إلى اللغة الفرنسية للمصادر التاريخية والجغرافية العربية ولروائع الأدب المصري الحديث ، ونشر النقوش العربية ، وأخيراً الفنون الإسلامية والحضارة الإسلامية . كما كتب أكثر من ثلثمائة مقال تناول مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية في تاريخ مصر خاصة ، وفي التاريخ الإسلامي عامة .

وتقسم جميع هذه الدراسات بالحدة والأصالة ، وعمق البحث وغزارة المادة . فقد كان — رحمه الله — لا يشغله شيء في حياته عن التفرغ للبحث العلمي ، وليس

أدل على ذلك أن الفترة التي عمل فيها مديراً لدار الآثار العربية امتلأت بدراسة الكثير من الكنوز الفنية التي تحتويها الدار في كافة مجالات الفنون الإسلامية . وقد ساعده على ذلك إعداداه العلمي الخاص ، وملسكاته الفكرية ، وجلده على العمل ، ووجه لمصر خاصة وللتاريخ الإسلامي عامة ، ومكتبته الخاصة التي تضمنت خمسة عشر ألف مجلد ، وموجز للقول ، فهو عالم من طراز العلماء الموسوعيين ، من أمثال السيوطي وغيره ممن حفل بهم تاريخ مصر الإسلامي .

لقد خدمت تاريخ مصر خاصة ، والتاريخ الإسلامي عامة في أمانة الرجل العالم والمؤرخ الصادق ، وهي أهم الخصائص التي يجب أن يتحلى بها المؤرخ ليقدّر لأعماله الخلود . ولهذا فإنه من حق فيت على مصر ، وعلى زملائه وأصدقائه من المصريين الذين عملوا معه أو إرتبطوا به برابطة الصداقة ، بل ومن حقه على تلامذته من المصريين وعلى الجمعية المصرية للدراسات التاريخية التي أسهم في نشاطها العلمي ، أن تذكر معاً سيرته الطيبة ، وحياته العلمية الحافلة .

ولكي يتيسر لنا إلقاء الضوء على أعماله العلمية ، يجدر بنا أن نستعرض الجانب العلمي من تاريخ حياته الطويلة التي إمتدت أربعة وعشرين عاماً . وإلى حضراتكم هذا العرض الموجز .

- ولد فيت سنة ١٨٨٧ وتوفي في ٢٠ أبريل سنة ١٩٧١ .
- حصل على دبلوم مدرسة اللغات الشرقية بباريس سنة ١٩٠٩ .
- عضو بمشعللمهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة من سنة ١٩٠٩ حتى سنة ١٩١١ .
- محاضر في اللغة العربية واللغة التركية بكلية الآداب — جامعة ليون من سنة ١٩١١ حتى سنة ١٩٣١ .
- عضو مراسل بالمجمع الفرنسي سنة ١٩٢٤ .
- مدير دار الآثار العربية بالقاهرة (متحف الفن الإسلامي) من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٥١ .

- عضو المجمع العلمي المصري من سنة ١٩٣٠ حتى سنة ١٩٥١ .
- أستاذ جغرافية وتاريخ الشرق الأدنى بمدرسة اللغات الشرقية بباريس من سنة ١٩٣١ حتى سنة ١٩٥١ .

- أستاذ تاريخ الفنون الإسلامية بمدرسة اللوفر من سنة ١٩٣٦ حتى سنة ١٩٣٨ .
- نائب رئيس المجمع العلمى المصرى سنة ١٩٣٧ — ١٩٣٨ .
- الأمين العام للمجمع العلمى المصرى من سنة ١٩٣٩ حتى سنة ١٩٥١ .
- عضو المجمع العلمى المصرى من سنة ١٩٥١ حتى سنة ١٩٧١ .
- أستاذ اللغة العربية والأدب العربى بكلية دى فرانس من ١٩٥١ حتى سنة ١٩٥٧ .

— عضو المجمع الفرنسى من سنة ١٩٥٧ حتى سنة ١٩٧١ .

ومن هذا العرض يتضح لنا تكوينه العلمى الذى يمثل أولا فى دراسته للغات الشرقية الثلاث ، العربية والفارسية والتركية ، ووصوله على المدى الطويل من حياته فى معرفته بهذه اللغات إلى درجة متميزة ينفرد بها بين المستشرقين الماصرين . وهذه القدرة فى إجادة اللغات الشرقية ، ولاسيما اللغة العربية ، هى التى مكنته من أن يطرق جوانب عديدة فى الدراسات الإسلامية كالأدب العربى والتاريخ والجغرافيا ، والفنون والحضارة ، وهى التى جعلته يتصدى لترجمة النصوص العربية القديمة لكبار المؤرخين والجغرافيين العرب ، ولترجمة روائع الأدب المصرى الحديث بأقلام كبار الكتاب مثل طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، ومحمود تيمور .

كما أن عمله الطويل فى دار الآثار العربية قد زاد من خبرته بالفنون الإسلامية فى كافة مجالاتها .

هذا فضلا عن أن إقامته الطويلة فى مصر جعلته يتخطى حدود الدراسة النظرية لتاريخ مصر وشعب مصر والتى تمتلئ بها صفحات الكتب ، وأن يتفهم عن قرب ، روح الشعب المصرى وجوانب الأصالة والإبداع التى تجلت على يديه عبر عصور التاريخ — وعلى وجه التخصيص — فى العصر الإسلامى . وبهذه النظرة الصادقة استطاع أن يتفهم أيضاً التاريخ السياسى والحضارى للعالم الإسلامى . ولهذا تميزت دراساته بمعالجة جوانب عديدة من حضارة مصر الإسلامية خاصة ، والعالم الإسلامى عامة . وهذا يتمثل فى المدد الوفير من المقالات التى تعالج الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والأدبية والفنية والشعبية وغيرها .

وإلى هذه الجوانب المتعددة في تكوينه العلمى أضيف جانباً آخر أكتسبه بالتلمذة على يد أستاذه العالم السويسرى ماكس ثان برشم صاحب الفضل فى إرساء علم دراسة النقوش العربية . ثم ما لبثت أن أصبح علماً من أعلام هذه الدراسة . وكان فيت من أقرب تلامذة ماكس فان برشم وأوثقهم صلة به فى حياته ، وأشدهم إخلاصاً له ولأعماله العلمية بعد وفاته .

فهو الذى قام بعد وفاته بنشر أبحاثه عن النقوش العربية الخاصة بالقدس ، والتى لم يكن قد توفر العالم الراحل على إعدادها للنشر . وقد إستغرق هذا العمل منه جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً ، تمثل أخيراً فى نشر هذه المجموعة القيمة عن القدس فى خمسة أجزاء صدرت فى القاهرة فى مجموعة MIFAO وتحمل الأرقام والسنوات الآتية :

- رقم ٤٣ ، الفصل الأولى (سنة ١٩٢٢) ، الفصل الثانية (سنة ١٩٢٣) .
- رقم ٤٤ ، الفصل الأولى (سنة ١٩٢٥) ، الفصل الثانية (سنة ١٩٢٧) .
- رقم ٤٥ ، فهرس عام للمجموعة كلها سنة ١٩٤٩ .

كما قام فى سنة ١٩٣٣ بنشر الفصل الثانية من الجزء الأول من كتاب « جامع النقوش العربية » الخاص بمصر ، والتى لم يكن قد تمكن فان برشم أيضاً من نشرها . وقد نشرت فى نفس المجموعة ، مجلد رقم ٤٣ .

وبالإضافة إلى كل هذه الخبرات فقد كان العالم الراحل يجيد اللغتين الإنجليزية والألمانية ، الأمر الذى مسكنه من الاطلاع على القدر الأكبر من كتب زملائه للمستشرقين الذين يتناولون بالبحث الدراسات الإسلامية بهاتين اللغتين ، وهذا يتجلى فيما قام به من تقديم ونقد للعديد من الكتب التى كتبها أعلام المستشرقين المعاصرين له ، والتى فاقت فى مجموعها التحسين مقالا .

وفي ضوء هذا التعريف يتكوّنه الملمى أحاول أن أستعرض لحضراتكم أهم
أعماله العلمية.

في الدراسات الإسلامية المصرية نجد أن فيت أقدم في سنة ١٩١١ ، وهي
السنة الأخيرة من عمله كباحث في المعهد الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة ، على نشر
كتاب « الخياط » المقريزي . وكان هذا جراحة كبيرة منه لإقدامه — وهو لا يزال
في بدء حياته العلمية — على نشر هذا الكتاب الذي يعتبر أهم المصادر العربية
لتاريخ مصر وتاريخ بلدانها وأثارها منذ بدء الخليقة كما جرى عرف المؤرخين
المسلمين حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي على وجه التقريب . ويزداد تقديرنا
لهذه الجراحة لأننا نعلم أن الفصول الأولى من هذا الكتاب والتي تعالج تاريخ مصر
— تعتبر أكثر أجزاء الكتاب صعوبة وغموضاً .

وكان قد سبق فيت إلى الاهتمام بدراسة هذا الكتاب عالمان فرنسيان لها شهرتهما
في ميدان الاستشراق هما بورياند Bouriant وكازا نونا Casanova .
ولسكنهما إدراكاً منهما لصعوبة نشر هذا الكتاب والتعليق على ما يحتويه من حقائق
علمية هامة خاصة بتاريخ مصر وأثارها ، إكتفيا بترجمة النص العربي إلى اللغة
الفرنسية . وقد بدأت هذه الترجمة بالفصل الأول من الكتاب وتوقفت عند الفصل
الخاص بابتداء الدعوة الفاطمية (طبعة بولاق ، الجزء الأول ، ص ٣٩٥) ، وقد
صدرت هذه الترجمة في أربعة مجلدات من مجموعة MIFAO في سنة ١٨٩٥ ، ١٩٠٠ ،
١٩٠٦ ، ١٩٢٥ .

وأما فيت فقد توفر على نشر هذا الكتاب والتعليق عليه ، وأخرج لنا منه
خمس أجزاء بدأت بالفصل الأول من الجزء الأول وتوقف عند الفصل الخامس
بذكر القطائع ودولة بني طولون (حتى ص ٣٢٦ ، من الجزء الأول طبعة بولاق)

وقد صدرت هذه الأجزاء الخمسة في نفس المجموعة في سنة ١٩١١ ، ١٩١٤ ، ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٨ ، (أرقام : ٣٠ ، ٣٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٣) . ولم يستطع ثبت أن يواصل نشر بقية كتاب الخطط ؛ إذ كان قد شغل منذ سنة ١٩٢٢ بنشر دراسات أستاذه ماكس فان برشم عن النقوش العربية الخاصة بمصر والقدس ، كما عين سنة ١٩٢٦ مديراً لدار الآثار العربية . وهكذا جذبته العمل في دار الآثار العربية وفي نشر النقوش العربية إلى ميدان آخر هو ميدان النقوش العربية والفنون الإسلامية التي عاش في جوها .

غير أن عمله في نشر « الخطط » كان بمثابة القاعدة الصلبة التي أقام عليها معرفته التامة بتاريخ مصر ومصادره المختلفة من العصر القبطي حتى العصر الحديث . فقد تطلب منه التعليق على أهم معالم مصر وآثارها وبلداتها وعواصمها التي ورد ذكرها في هذا الكتاب ، والرجوع إلى كافة المصادر لتعريف القارى بما اندثر من هذه المعالم ، وبما لا يزال باقياً منها حتى عصرنا الحديث ، وهذا يتجلى في وضوح لكل من يتصفح الحواشي والتعليقات العلمية المسهبة في الأجزاء التي قام بنشرها من الخطط .

كما أن نشر الخطط جعله يمد جذور دراسته عن مصر الإسلامية إلى العصر القبطي ، وأن يتعرف على تاريخ المدن المصرية القديمة التي ورد ذكرها في الكتاب وأن يتعرف أيضاً على المؤرخين القبط الذين كتبوا تاريخ مصر باللغة العربية في العصر الإسلامي .

ففي سنة ١٩١٤ قام بالاشتراك مع جان ماسبيرو Jean Maspero بإصدار
الجزء الأول من دراستهما عن المدن المصرية ، وهي الدراسة التي استكملت سنة ١٩١٩
وظهرت تحت عنوان :

— Matériaux pour servir à la géographie de l'Egypte,
in MIFAO, T. XXXVI, Fasc. I (1914), Fasc. II (1919).

وفي هذا الكتاب عرف المؤلفان بأهم المدن المصرية ، وبذ العصر الفرعوني حتى
عصرنا الحالي من الناحيتين الجغرافية والتاريخية .

وفي عام ١٩٢٣ قام بالاشتراك مع عالمين متخصصين في العصر القبطي ، وهما
Eugène Tisserant, Louis Villecourt بإيضاح شخصية مؤرخ قبطي
عاش في العصر الإسلامي وكتب باللغة العربية وهو شمس الرئاسة أبو البركات ابن كبر .
وظهرت هذه الدراسة في العدد الثاني والعشرين من مجلة المشرق المسيحي بعنوان :

— Récherches sur la personnalité et la vie d'Abul
Barakat ibn Kubr, in Revue de l'Orient chrétien, XXII.

وفي سنة ١٩٢٩ قام بالاشتراك معها بدراسة لكتابه « مصباح الظلمة وإيضاح
الخدمة » . وكان قد سبقها إلى ذلك في سنة ١٩٠٢ المستشرق الألباني ولهم
رايدل Wilhelm Riedel ، وقد صدرت هذه الدراسة في العدد ٢٠ من
مجموعة Patrologia Orientalis بعنوان :

— Le livre de la lampe des ténébres

تم قام في سنة ١٩٢٤ باشتراك مع Eugene Tisserant بدراسة الآباء
بطارقة الاسكندرية الذين أورد التلشندي أسماءهم في كتابه « صبح
الأعشى » ، وهي الدراسة التي ظهرت في مجلة المشرق المسيحي ، العدد ٢٣
بعنوان :

— La liste des patriarches d'Alexandrie dans Qalqashandi.

وتخليداً لذكرى صديقة جان ما سيرو قام في سنة ١٩٢٤ بالاشتراك مع Tisserant Fortescue بنشر الكتاب الذي لم يكن قد تمكن من طبعه قبل وفاته وهو « تاريخ بطارقة الاسكندرية من سنة ٥١٨ حتى سنة ٦١٥ م

— Histoire de Patriarches d'Alexandrie, depuis la mort de l'eupéreur Anastase Jusqu'à la réconciliation des Eglises Jacopites (518 — 615), in Publications de l'Ecole des Hautes-Etudes. Paris 1924.

وظهرت أثر هذه الدراسات في كتابته لتاريخ مصر الإسلامية . فقد استطاع أن تنفهم في عمق الدور الذي شارك به القبط في تاريخ مصر الإسلامية وفي تطور الحضارة المصرية الإسلامية . ويكفي في هذا الصدد أن نشير إلى مقاله عن « القبط » في دائرة المعارف الإسلامية .

* * *

وأما عن تاريخ مصر الإسلامية فلنألفنا نلاحظ أن فئت لم يبدأ في كتابة كتبه الرئيسية عن هذه الفترة إلا بعد أن توفر له الإلمام الكافي بتاريخها وحضارتها . وهذا تيسر له بعد أن قام بدراسات عن أهم مؤرخي مصر الإسلامية كالكندي والمقرئزي (سنة ١٩١٤ ، وسنة ١٩١٦) ، وابن عبد الحكم (سنة ١٩٢٠) ، وابن ييسر (١٩٢١) ، وأبو المحاسن بن تفرى بردى (١٩٣٠) . وكذلك بعد أن عمل فترة طويلة في دراسة النقوش العربية . وبعد أن عمل بضع سنوات مديراً لدار الآثار العربية . واستطاع أن يتعرف في هذين المجالين على الكثير من الجوانب الحضارية المصرية الإسلامية .

فى سنة ١٩٣٢ أصدر ثلاثة كتب . أولها :

— الكتاب الذى إشتراك فى تأليفه مع LouisHautecoeur عن مساجد القاهرة . فقد كتب فبت القسم الأول من الكتاب وهو الخاص بالحقائق التاريخية . وترك لزميله دراسة مساجد القاهرة من الناحية الأثرية . وفى هذا القسم عالج فبت موضوعات حضارية بحتة تهدف إلى إبراز خصائص الشعب المصرى وملسكاته التى ظهرت فى العصر الإسلامى . وتجلت فى جوانب الإبداع الحضارى التى تقسم بها الحضارة المصرية الإسلامية .

— وكتابه عن « مصر الإسلامية » الذى ظهر فى الجزء الثانى من مجموعة « موجز تاريخ مصر »

— Précis de l'Histoire d'Egypte

وفى هذا الكتاب عالج تاريخ مصر من الفتح العربى حتى سقوط دولة المماليك . وفى هذه المعالجة يلاحظ القارىء قدرته على إبراز الجانب الحضارى بجانب التاريخ السياسى ، سواء فىما يختص بتطور نظم الحكم أو الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفنية خلال هذه الفترة الطويلة

— ثم كتابه الثالث :

— Les Biographies du Manhal Safi

وهذا الكتاب عرض مسلسل للتراجم التى وردت فى كتاب أبى المحاسن بن تئرى بردى « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » وذلك عن النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ ، وتتكون من ثلاثة أجزاء ضخمة وتحتوى على ٢٨٢٢ ترجمة ، وقد ألفه أبو المحاسن لىكون ذبلا لكتاب « الوافى بالوفيات » لخليل بن أيبك الصندى المتوفى سنة ١٣٦٢ م . ولهذا فان التراجم التى

أوردها أبو المحاسن تشمل النابيين والمفهورين من رجال مصر في العصر المملوكي من سنة ٦٥٠ هـ حتى وفاة المؤلف سنة ٨٧٤ هـ .

والترجم في التعريف بهذه التراجم منهجاً فريداً يهدف إلى التعريف بها في شتى من الدقة والإيجاز ، بدلا من الإسهاب المل الذي يشعر به القارئ في قراءة التراجم الإسلامية . فاهم تحقيق سم صاحب الترجمة ، وكنيته ، ولقبه ، وتاريخ وفاته ، ونشأته ، وأهم الوظائف التي تقلدها ، وشهرته التي اشتهر بها . كما أضاف إلى هذه الحقائق المستخرجة من الترجمة ، كما وردت في النسخة الخطية ، كل ما يزيد القارئ تعريفاً بها . وأهم الأحداث المتصلة به ، وذلك لإحالة القارئ إلى كافة المصادر والمراجع التي تحدثت عن صاحب الترجمة . كما قدم لنا تحليلاً علمياً لعدد هذه التراجم في الكتاب من تراجم ، فقام بتجميع كل من ينسب من أصحاب هذه التراجم إلى أسرة واحدة ، سواء أكانت من الأسرات الحاكمة في المشرق أو في المغرب الإسلامي أو من الأسرات التي اشتهر أفرادها بالاشتغال بالفقه أو بالقضاء ، أو بأحد فروع العلوم والمعرفة .

وفي سنة ١٩٣٧ كتب فيت أم كتبته عن تاريخ « مصر العربية L'Egypte Arabe » الذي خصص له الجزء الرابع من مجموعة « تاريخ الأمة المصرية » .

وفي هذا الكتاب أسهب فيت في معالجة « تاريخ مصر العربية » الذي كان قد عالج في سنة ١٩٣٢ في مجموعة « موجز تاريخ مصر » بعنوان « تاريخ مصر الإسلامية » ، كما تطرق فيه إلى بحث جوانب أخرى جديدة من التاريخ السياسي والحضاري لمصر في هذه الفترة ، ومن ثم اتسمت هذه الدراسة بالإسهاب والشمول وغزارة المادة . ولهذا فإنه يعتبر — في نظر المتخصصين أهم الكتب التي تعالج تاريخ هذه الفترة الطويلة من التاريخ المصري .

وفي سنة ١٩٦٤ دعى لإلقاء سلسلة من المحاضرات في جامعية أو كلاهما
بالاتحاد الأمريكية عن القاهرة . وهي المحاضرات التي نشرت في كتاب :
— القاهرة . مدينة الفن والتجارة .

—Cairo, City of Art and Commerce



كما تمديدت مقالاته العلمية عن مختلف الجوانب المتعلقة من تاريخ مصر الإسلامية.
بل نراه في هذه المقالات يطرق نواحي فريدة . وألفا جديدة في تاريخ مصر الإسلامية

ومن هذه الموضوعات : — على سبيل المثال لا الحصر —

— كتاب السر في العصر المملوكي (رؤساء ديوان الإنشاء)

— المواصلات في مصر في العصور الوسطى .

— تجار الكرام .

— السلطان الظاهر بيبرس .

— ابن النفيس واكتشاف الدورة الدموية الصغرى .

— القاهرة كما رآها الرحالة الأجانب .

— الموسيقى والرقص في مصر الإسلامية .

— البواب الأسود (الطاعون) الذي حل بمصر وسورية سنة ١٣٤٨ هـ وبيلا

كثيرة أخرى في أوروبا .

— الأدباء والكتاب المصريون في القرن الخامس عشر الميلادي .

— أبحاث عن المكتبات المصرية في القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي .

— الأعياد والألعاب الشعبية في مصر الإسلامية .

القاهرة في ألف عام .

— شعار الجمهورية العربية المتحدة (النسر) .

وفي مجال العلاقات الخارجية :

— العلاقات المصرية — الحبشية في عهد سلاطين المماليك .

— أميران من أمراء الأتراك العثمانيين بالبلاط المملوكي .

— اللاجئين السياسيون من أمراء الأتراك العثمانيين في مصر .

— لاجيء من أمراء المماليك بالبلاط للفولوي .

وبالإضافة إلى هذه المقالات ، كتبت في أكثر من ٣٠ مقالا في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الفرنسية ، عن أشهر المدن المصرية وعن أشهر الشخصيات في تاريخ مصر .

* * *

وامتد إهتمامي إلى تاريخ مصر الحديث وطى الأخص عصر الحملة الفرنسية وعصر محمد علي

وأهم مؤلفاته في هذا الصدد ، هي :

- ١ — مذكرات الرحالة Trécourt عن مصر في سنة ١٩٧١ ، نشرها والتعليق عليها . وقد ظهرت في مطبوعات الجمعية الجغرافية المصرية سنة ١٩٤٢ .
- ٢ — سقوط العريش ، كما رواه السكاكيت Bauchard في مذكراته ، وقد صدرت بالقاهرة سنة ١٩٤٥ .

٣ — مذكرات نقولا أتراك ، من ١٧٩٨ حتى ١٨٠٤ . وقد نشر النص العربي مع ترجمته إلى اللغة الفرنسية والتعليق عليه ، وظهرت بالقاهرة سنة ١٩٥٥ .

هذا غير عدد من المقالات عن تاريخ هذه الفترة ، منها : —

— قنصل فرنسا في مصر في عهد محمد علي .

— خطاب للعالم الفرنسي جوملر .

— رحلة إبراهيم باشا إلى فرنسا وإنجلترا .

— مذكرات غير منشورة عن الحملة الفرنسية على مصر .

— محنة السيادة العثمانية على مصر .

— تقرير بريطاني عن إستيلاء الوهابيين على مكة .

كما تجلّى إهتمامه ، بتاريخ هذه الفترة ، في قيامه بالاشتراك مع الدكتور عبد الرحمن زكي ، في وضع فهرس مفصل لكتاب « عجائب الآثار للجبرتي » لكي يتمكن الباحثون من الاستفادة من هذا الكتاب الهام على خير وجه .
وكما أوضحت من قبل فإن دراسة فيت لتاريخ وحضارة مصر الإسلامية إنما كانت داخل الإطار العام لتخصصه في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية عامة . وقد ساعده على الإحاطة التامة بالتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية إلمامه الكافي بمصادر التاريخ الإسلامي ، العربية والفارسية ، كما أن دراساته في ميدان الفنون الإسلامية والنقوش العربية جعله يعد دراساته من هذا الميدان إلى آفاق جديدة ، وخاصة بلاد الشام التي كانت هي ومصر تكونان دولة واحدة في معظم فترات التاريخ للمصرى الإسلامي .

وأبرز مؤلفاته في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، هما كتاب — مجد الإسلام ، باريس ١٩٦١ (*Grandeur de l'Islam*) .

— مقدمة في دراسة الأدب العربي ، وهو من مطبوعات اليونسكو ، باريس ١٩٦٦ (*Intraduction a' la littérature arabe*) .

— فأما الكتاب الأول فقد كتب بقصد تعريف الأوروبيين بمجد الإسلام ، وذلك عن طريق إيراد النصوص المختارة على لسان المؤرخين والكتاب الثقة التي تصور في أمانة ودقة الشخصيات التي أسهمت في بناء مجد الإسلام في المشرق أو في المغرب، وكذلك الأحداث التاريخية الكبرى التي شكلت تاريخ الإسلام، منذ القرن الأول حتى بداية القرن العاشر الهجري . وقد اقتضى الأمر أن يجهد لكل فترة من هذه الفترات التاريخية بتعريف موجز لها بما يسمح للقارئ الأوروبي بأن يتفهم الإطار التاريخي للنص الذي ينقله إليه عن أحد كبار المؤرخين والكتاب العرب .

— وأما الكتاب الثاني، فهو — في حقيقة الأمر — دراسته للحضارة العربية من خلال دراسة تطور الفكر العربي في مختلف الميادين، في الشعر والفن، والقصة، والتاريخ، والجغرافيا، والفلسفة والتصوف . ولهذا الكتاب يعتبر من أروع ما كتب عن تاريخ الفكر العربي، وعجاء نتيجة إلمام المؤلف الواسع والعميق بكل ما كتب في مختلف اللغات عن الحضارة العربية .

ويضيق بنا الوقت عن الاستشهاد بأهم ما كتبه من مقالات في موضوعات تاريخ الإسلام العام . ويكتفي الإشارة — في هذا المجال — إلى بعض هذه المقالات لمعرفة الاتجاهات التي كان يطرقها بالبحث .

فملي سبيل للشال :

- تطور الأساليب الفنية في العصر الإسلامي الوسيط .
- إسطنبول في القرن الرابع عشر الميلادي .
- بعض مظاهر الحضارة العربية في العصر الطاهلي .
- أثر المشرق الإسلامي على الثقافة الغربية .
- الدولة الأموية دولة برلمانية الطابع ، والدولة العباسية دولة غارسية الطابع .

— حياة الترف والتمتع في مكة في القرن الأول الهجري .

— الترجمة عن الانغريقية عند العرب .

* * *

وفي مجال الفنون الإسلامية كان لقيت نصيب كبير من الشهرة العلمية . فقد تميز عمله في مشط الفن الإسلامي بالتمق في دراسة الفنون الإسلامية في مجالاتها المختلفة ، ودراسة المجموعات الفنية التي يضمها المتحف من منسوجات وحرير وسجاجيد ، وخزف ، ونحف معدنية نحاسية وبرونزية وتصاوير ، وأواني زجاجية ، والمشكوات المعروضة بالبناء . ويضع هذا الجانب إذا ما استمر معنا دراساته الرئيسية في هذا المجال ، وهي .

— المشكوات والأواني الزجاجية الموهبة بالبناء ، من مطبوعات المتحف .

القاهرة ١٩٣٩ .

— كتاب الوج كمتحف ، القاهرة ١٩٣٥ .

— المتحف النحاسية والبرونزية ذات النقوش التاريخية ، من مطبوعات

المتحف ، القاهرة ١٩٣٩ .

— معرض الفن الفارسي بالقاهرة ١٩٣١ . وقد ظهر له عن هذا المعرض

كتابان أحدهما سنة ١٩٣٣ ، والثاني سنة ١٩٣٥ .

— التصاوير الفارسية والتركية والمعدنية . مجموعة عريف صبرى ، من مطبوعات

المجمع العلمي ، القاهرة ١٩٤٣ .

— حرير فارسية ، من مطبوعات المجمع العلمي ، القاهرة ١٩٤٨ .

هذا وقد تمت مقالاته في مختلف موضوعات الفنون الإسلامية عامة ، وعن

مصر والشام خاصة ، الحسين مقالا ، يعرف المختصون موضعها في المجالات والدوريات

العلمية ، ويتعذر علينا - في هذا المقام - الإشارة إليها .

كما برع ثبت في ميدان النقوش العربية . وهذا يرجع إلى قدرته في قراءة
الكتابة العربية التي استخدمت كعنصر من عناصر الزخرفة في الفن الإسلامي ،
ثم تطورت عبر العصور وبلغت على يد الفنان المسلم درجة من التعقيد بحيث يتعذر
على القارئ العادي قراءتها . كما يرجع أيضاً إلى إلمامه الواسع بالتاريخ الإسلامي ،
الأمر الذي مكنه من شرح هذه النقوش والتعليق عليها لوضعها في إطارها التاريخي
الصحيح .

وبالإضافة إلى ما قام به من نشر دراسات استأذه ما كس فان برشم عن القدس ومصر
التي لم يقيس له نشرها قبل وفاته ، فقد أمدت المكتبة العربية بالكنوز العلمية
الآتية في مجال النقوش :

— النقوش العربية في مصر ، الجزء الثاني ، (الجزء الأول أخرجه فان برشم)
وقد صدر في مجموعة الأعمال العلمية لأعضاء المعهد الفرنسي للآثار الشرقية . سنة
١٩٢٩ ، ١٩٣٠ .

مجموعة شواهد القبور الموجودة بمتحف الفن الإسلامي ، وهي من مطبوعات
« الدليل العام للمتحف » . وقد صدرت في ثمانية أجزاء تحمل الأرقام الآتية :
« الثاني والرابع (١٩٣٦) ، الخامس (١٩٣٨) ، السادس (١٩٣٩) السابع
(١٩٤٠) ، الثامن والتاسع (١٩٤١) ، العاشر (١٩٤٢) .

— كما قام بالاشتراك مع إثنين من زملائه وهما Ehiune Combe, Jean
Sauvget من تلامذة فان برشم بإصدار سجل الكتابات العربية . وفي هذا
السجل جمعوا الكتابات العربية في كافة البلدان العربية الإسلامية مرتبة ترتيباً زمنياً
بدأت بالقرن الأول الهجري وتوقفت بنهاية القرن التاسع الهجري . وقد ظهر
منها خمسة عشر جزءاً في الفترة ما بين سنة ١٩٣١ حتى سنة ١٩٥٧ .

— « النقوش العربية في مكة والمدينة » . وهذه النقوش كان قد قام بجمعها في مكة والمدينة المرحوم حسن الهواري الذي كان يعمل أميناً مساعداً بالمتحف وقت أن كان فيت يتولى إدارته . ولم يبدأ فيت دراسة هذه النقوش والتعليق عليها إلا بعد أن عاد إلى فرنسا وعين أستاذاً بالسكوليج دي فرانس سنة ١٩٥٢ وابتداء من سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٥٥ كانت محاضرة عن هذه النقوش التي كان يعدها للنشر . ولا أعرف حتى الآن مصير هذه الدراسة .

ولم يقتصر نشاطه في مجال النقوش على إخراج هذه الكتب ، فقد نشر الكثير من النقوش العربية ، وخاصة عن مصر والشام ، في عديد من البحوث في المجلات العلمية ، ويكفي أن نشير إلى أن الحصر المبدئي لهذه البحوث بلغ حوالي الأربعين بحثاً .

ولم يكن فيت يستطيع أن يوز على هذا النحو في كافة المجالات التي أشرت إليها لولا قدرته الفائقة في قراءة النصوص العربية القديمة . وهذه القدرة هي التي ساعدته على أن ييز أقرانه ومعاصره من المستشرقين في مجال ترجمة النصوص العربية القديمة إلى اللغة الفرنسية والتعليق عليها ، وذلك لتعريف الأوروبيين بروائع الأدب العربي .

كما أن إقامته الطويلة في مصر جعلته على صلة وثيقة بكبار الأدباء المصريين المعاصرين له مثل طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، ومحمود تيمور ، وهذه الصلة مكنته من أن يتعرف على روح الشعب المصري وأن يتذوق ما كتبه هؤلاء الأدباء لينقله إلى لغته الأصلية .

وإلى حضراتكم قائمة بأهم ما قام بترجمته إلى اللغة الفرنسية من نصوص عربية قديمة .

اليقوي : البلدان ، باريس ١٩٣٧ .

— ملخص لكتاب « زهرة المشتاق » للدريسي ؛ من مطبوعات الجمعية

الجغرافية المصرية ، سنة ١٩٣٩ .

- ابنه إياس : بدائع الزهور . ابتداء من عصر قايتباي حتى النزو العثماني
لمصر في ثلاثة أجزاء صدرت بالقاهرة سنة ١٩٤٥ ثم في باريس سنة ١٩٥٥، ١٩٦٠
- مذكرات عقول ترك (فيما بين سنتي ١٧٩٨ و ١٨٠٤) ، القاهرة ١٩٥١ .
- عجائب مصر لمرتضى بن عفيف ، باريس ١٩٥٣ . (وهذا الكتاب يتحدث
فيه مؤلفه عن الأهرامات ، وفيضان النيل ، وما اشتهرت به مصر من عجائب .
- وكان قد ترجمه VATTIER سنة ١٩٥٦) .
- المقرئى : الفصل الخاص من كتاب الخطط ، عن « أسواق القاهرة » .
- محاضرات ألفت في الكوليج دي فرانس سنوات ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ،
- المقرئى . إغاثة الأمة بكشف النعمة . ترجمة مع التعليق عليها . وقد نشرت في
Journal of economic and social History of the Orient
no 5, 1960.

- ابن رسته : الأعلام النفيسة ، باريس ١٩٥٥
من مطبوعات اليونسكو
- ابن حوقل : صورة الأرض ، باريس ١٩٦٤
من مطبوعات اليونسكو
- وفي مجال الأدب المصرى الحديث قام فريت بترجمة الكتب والقصص

الآتية : —

— طه حسين —

— كتاب الإمام — القاهرة ١٩٤٠ .

— شجرة البؤس . (قصة قصيرة) ، مجلة القاهرة ١٩٤٦ .

— توفيق الحكيم .

— يوميات نائب في الأرياف — بالاشتراك مع المرحوم الأستاذ

الدكتور محمد حسن . القاهرة ١٩٣٨ .

— الرباط المقدس — مجلة القاهرة ١٩٤٣ .

— محمود تيمور —

ترجم له عددان من النقص . أهمية : في

— بنت العيطان .

— تاج من ورق .

— غوام قديم .

— المنح المجلد .

— بسمة البنائية .

— كان في غابر الأزمان .

— حلم وانقضى .

— كلب أسعد بك .

— حافظ رمضان .

— أبو الهول قال لي ، القاهرة ١٩٤٦ .

* * *

ولم يكن في أثناء إقامته في مصر يعيش بعيداً عن حياة المجتمع المصري ومشاكلة الاجتماعية . ففي سنة ١٩٤٠ كتب مقالا في مجلة « القاهرة » *La Revue du Caire* ، العدد الخامس بعنوان « نظرة على المشكلة الاجتماعية في مصر » شرح فيها أبعاد هذه المشكلة ، كما كان يراها المثقفون وقتذاك بالإضافة إلى رأيه الخاص بوصفه رجلا أوربيا .

وفي سنة ١٩٤١ قام بترجمة المقال الذي كتبه وقتذاك الأستاذ محمود عبد الزعيم

عنبر عن « مشكلة الطلاق في مصر » وقد نشرت الترجمة في مجلة مصر المعاصرة .

* * *

وفضلاً عن كل هذا وذاك ، فقد كان فيث قارئاً ممتازاً ، كما كانت تربطه بكافة المؤرخين المعاصرين له ، أوروبيين وعرباً ، صلات طيبة ، ولهذا لم يكن يخرج كتاب في الدراسات الإسلامية ، موضوع تخصصه ، إلا وسارع بتقديمه إلى القراء ، معترفاً به ، وناقداً له .

ويخرج المرء ، بعد إطلاعه على قائمة تقديمه للكتب — والتي سبق أن أوضحت في بداية هذه الكلمة أنها فاقت التحسين كتاباً ، بالبرية والفرنسية والإنجليزية والألمانية — بفكرة واضحة عن مدى سعة إطلاعه ، وغزارة علمه ، وشمول ثقافته ، وتجاوبه مع الحياة العلمية أخذاً وعطاء .

لقد قام الأستاذ أندريه ريموند André Raymond مدير المعهد الفرنسي للآثار بدمشق ، بمناسبة بلوغ المرحوم جاستون فيث السبعين من عمره ، بحصر أعماله العلمية ، منذ أن بدأ حياته العلمية في سنة ١٩٠٩ حتى سنة ١٩٦٠ ، ونشرها في مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة . وهذه القائمة تكاد تكون تامة ، لم يسقط منها إلا بعض المقالات التي تمد على أصابع اليدين بسبب السهو أو بسبب عدم الإحاطة الشاملة بكل مؤلفات ومقالات فيث . هذا فضلاً عن أن فيث ظل يعمل ويسكتب حتى قبيل وفاته ، ومن ثم فإن الأمر يقتضى وضع قائمة كاملة بكل مؤلفاته وأبحاثه .

* * *

وأخيراً لا يسعني في ختام هذه الكلمة إلا أن أوجه الشكر إلى حضراتكم لتفضلكم بالحضور إلى الجمعية المصرية للدراسات التاريخية لسماع هذه الكلمة عن العالم والمؤرخ جاستون فيث .

بحوث

